الفصل الثالث

الموالي والعرب (النظرة الاجتماعية)

يرى العرب أنفسهم أرفع شأنًا من الموالي، فلا يزوجونهم، وقديمًا رفض عامل الفرس على الحيرة النعمان بن المنذر أن يزوج ابنته إلى كسرى أبرويز[١] ويذكر أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد لام الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على زواجه من أمة فارسية، وكذلك لام الخليفة عبدالملك علي بن الحسين على الزواج من إحدى مواليه الفارسيات[٢].

وقد قيل فيما بعد: إن تأييد الفرس للشيعة كان بدافع الاعتقاد أن حكم الأكاسرة ونفوذهم ليمضي، ويطغى على العرب من هذا الطريق، فكان علي بن الحسين يلقب (بابن الخيرين) قريش وفارس.

وهذا اعتقاد أقرب إلى نفوس الموالي الفرس الذين كانوا على عقيدة الحق الإلهي في الملك.

إن أعداد الموالي كانت تكثر بتقدم الوقت واتساع الفتوح الإسلامية، وهذه الكثرة دفعت إلى امتزاج عادات الموالي في العرب وظهور أخلاقيات جديدة، وقد شهد بذلك أحد الموالي القدماء في الكوفة، فقد جاء في خطبة له في مسجد الكوفة يدعى دينار: «يا معشر أهل الكوفة، أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس... ثم تغيرتم، ففشت فيكم أربع خصال: بخل، وخبًا، وغدر، وضيق...»[٣].

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري. ج٢. ص١٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٦، ص١٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري. ج٤، ص١٣٦.

لقد حاول العرب المسلمون أول الأمر ضبط الموالي في الحرب خاصة إلى أن يقاتلوا إلى جانب سادتهم، وهذا بالنسبة إلى من لم يعتق أو أعتق، وبقي تابعًا لمولاه، إلا أن أعدادًا أكبر فيما بعد دخلوا الإسلام أحرارًا مستقلين لم يرتبطوا بقبائل أو أفراد من العرب، فهؤلاء كانوا مصدر الخطر الذي جر على العرب والمسلمين مشكلات شتى؛ لعدم ضبطهم في الإدارة والعقيدة الحقة إنما أضحوا نهبًا لأهوائهم وأفكارهم الشخصية القديمة.

فلذا يعبرون عنها بأي مناسبة تسنح إليهم في حركات ثورية أو المناداة بعقائد خارجة عن أصول العرب المسلمين، كل ذلك يهدف إلى إرجاع أقاليمهم إلى دولتهم المنتظرة التي يرون فيها القوة والمنعة لأنفسهم ضد الفاتحين العرب. وهذا يفسر بوضوح سبب انضواء الموالي الفرس إلى أي حركة أو ثورة أو رأي أو عقيدة مخالفة للدولة الإسلامية، وما يدين به العرب الفاتحون فهو هدف آني ووسيلة متاحة للوصول إلى هدفهم الأصلي.

وحقد هذه الطبقة من الموالي التي لم يدخل الإسلام قلبها عن قناعة، وإنما اتخذت الإسلام غطاء؛ ليحميها مع ذلك فقد رشح الكثير ممن رموا بالزندقة والمناداة بالعقائد الفارسية القديمة خاصة بين الشعراء والكتاب منهم بشار بن برد، فهو يفاخر بأصله الذي وصفه بقريش العجم[1] وقد ذكر أن بشار كان يدين بالرجعة، ويقدس النار بوصفها معبودة من القدم، ويقال: إن منهم أبا نواس المشهور بشعوبيته في شعره ومدحه للفرس وذم العرب وطبائعهم، ومنهم وعلان ذو الأصل الفارسي، فكان يكتب للبرامكة ويصنف الكتب في مثالب العرب، وذكر أن قائد جيش المأمون طاهر بن الحسين ذا الأصل الفارسي أعطى وعلان ثلاثين ألف درهم على كتابه الذي ألف في مثالب العرب، ومن الشعراء ذوي الميول الفارسية الشيعية مهيار الديلمي، ومن الكتاب ابن المقفع الذي يسخر

(١) الأصفهاني: الأغاني. ج٣، ص٢١.

من العرب، ويلمزهم في كتاباته حينما كتب ابن المقفع رسالة الصحابي أو الصحبة للخليفة المنصور ذكر له بوضوح أن يختار لبطانته وصحبته أبناء الملوك والأساورة لا عامة الناس، ويمدح له جند الفرس من أهل خراسان، ويوصيه بأهل البصرة والكوفة لاختلاطهم بأهل خراسان وكونهم من أوليائهم. ومن الكتاب أيضًا أبوعثمان بن حميد الذي ألف كتابًا في فضائل الإيرانيين، وقد حبس متهمًا بالزندقة زمن المعتصم. ومن كبار الشعوبيين أيضًا أبوعبيدة معمر بن المثنى المنتسب لتميم، فقد كان أبوه فارسيًّا يهوديًّا، وكان يكذب، ويدس في كتاباته، ونسب إلى العرب الكثير من خرافات الفرس وأساطيرهم[1].

هؤلاء نماذج من الشعراء والكتاب ومن لهم أثر اجتماعي يصرحون بآرائهم الشعوبية وعقائدهم الفارسية ما ينبئ عن حريتهم وشيوع مقالاتهم عند جمهور الناس، وما ذلك إلا دليل واضح على ما لهذا الصنف من الموالي من أثر في عقيدة أتباعهم ومن حولهم من عامة الموالي وفي المسلمين، وضخموا المشكلات، وعملوا على افتعالها والزيادة فيها وفيما يلي نتلمس ما كان يثيره الموالي على المسلمين وعلى الخلافة خاصة، وهي الهدف الحقيقي لهم.

الجزية والخراج:

كما ذكرنا أن الجيش الإسلامي في الحرب ملزم شرعًا بعرض الإسلام أولًا، فإن أجابوا صاروا مسلمين كالبقية، أو يرفضون، فيدخلون الحرب، فإن هزموا أصبحوا غنيمة للمسلمين عن طريق الأسر والسبي واستملاك أراضيهم وخروجها عن أيديهم إلا أن يؤدوا عنها الخراج.

وأما أن يقوم الصلح بين الطرفين، فيلزم المسلمون شروط الصلح، وهي تتم عادة بدفع مبالغ عن الرؤوس ربما والأراضي.

---

(١) ابن النديم: الفهرست، ص٧٩ وما بعدها.

وقد نتج عن ازدياد عدد الموالي ودخولهم الإسلام دون حرب ظواهر عدة منها قلة مورد الجزية والخراج للدولة وهجر الموالي أراضيهم وانتقالهم إلى المدن، فتأثرت كمية الإنتاج الزراعي، ثم لأنهم مسلمون فهم يطالبون بالعطاء أسوة بالعرب وإخوانهم في الدين، لقد عالج الحجاج هذه الظواهر منذ سنة ٨٠هـ وذلك بردّ الموالي الجدد خاصة الذين تجمعوا بالبصرة والكوفة إلى قراهم وأراضيهم لزراعتها، ويقال: إنه نقش على يد كل منهم اسم قريته ولأنهم سيزرعون، فقد أعاد جباية الخراج منهم كما هو مفترض على الأراضي التي بيد العرب المأخوذة عنوة بالحرب كما هو في مبحثنا عنها في اجتهاد الخليفة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إن نسبة كبيرة من الموالي الذين طلب الحجاج ردهم إلى أراضيهم قد رفضوا، والتحقوا بثورة عبدالرحمن بن الأشعث كما هو مبين في هذا البحث، ويذكر بعض المؤرخين أن الحجاج كان قد أعاد عليهم الجزية، وربما قصد منها الخراج؛ لأنه لا يجوز أخذ الجزية من مسلم شرعًا، وبهذا حل أيضًا مطالبهم بالعطاء حيث لا يستحقونه في هذه الحالة. ويقال: إن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد رفع الخراج عن الموالي المسلمين وترك حرية البقاء أو ترك أراضيهم، بل أجرى لهم العطاء كبقية العرب، ولكن تعرضت خزينة الدولة للإفلاس، فرد الخراج على الأراضي بأن يدفع سواء كانت الأرض بيد عربي أو من الموالي المسلمين[1].

أساس العطاء هو ما للمسلمين المحاربين من أنفال الحرب، ثم تطورت إلى أن تكون الأعطيات من الزكاة التي تجمع في بيت المال بحسب موارد الزكاة المعروفة من أموال الجزية والخراج والعشور.

وقد كان أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوزع العطاء بين المسلم العربي والأعجمي، وهذا نتج عن المساواة في العطاء، لكن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعطي للمقاتل العربي المسلم

(١) الطبري: تاريخ الطبري. ج١، ص٣٨١، ج٧، ص٥٦ (١) - الطبري: تاريخ الطبري. ج٣، ص٦١٣ وما بعدها.

النصيب الأوفى بوصفه يتحمل أكثر من الموالي في الحرب والفتح، ومن جهة أخرى أن العربي هو السبب في إسلام الموالي وإعطاء اسمه ليتولاهم، فهم له تبع، واستعمل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قطع العطاء لمن يعصيه، أو لا يحارب من تحاربه الدولة مثل الذين لم يحاربوا الخوارج قرب مدنهم.

إن الخلفاء بعد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد زادوا العطاء للموالي إلا أن الزيادة لم تكن ذات بال، فلم يصلوا إلى المساواة مع العرب، وفي ثورة المختار بن عبيدالله الثقفي التي ساوى فيها المختار في العطاء بين العرب والموالي احتج من معه من عرب الكوفة على ذلك، وذكروا له أنهم السبب في تحرر هؤلاء الموالي، فكيف يساويهم بهم، ومهما يكن الأمر، فإن موضوع المساواة وعدمها في العطاء كان سببًا دافعًا إلى بعض الموالي للاستغلال ضد مخالفيهم وإباحة الخروج على السلطان[1]. فهم لا يسعون إلى التفتيش عن العدالة والمشروعية بقدر ما يسعون إلى إيجاد ثغرة لتأجيج النقمة وزيادة الحقد على العرب المسلمين، فلذلك نرى هذا الصنف من الموالي ينضم لأي مخالف أيًّا كان معتقده، فهم يركبون أي موجة فتنة في سبيل الوصول إلى هدفهم الأصلي.

منصب الولاية:

الولاية أخطر منصب بعد الخلافة، والخليفة هو الذي يعين الولاة، ويعزلهم، ولما لم يكن هناك ما يمنع شرعًا تولية الموالي فقد قام كثير من الخلفاء بتوليتهم على العرب وعلى بني جلدتهم، فقد تولى أبوالمهاجر مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري على المغرب زمن معاوية، وتولى موسى بن نصير مولى بني أمية على إفريقية زمن الوليد سنة ٨٩هـ وولى الوليد بن عبدالملك مولى طارق بن زياد، وولى إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر مولى مخزوم على

(١) الطبري: تاريخ الطبري. ج٣، ص٦١٣ وما بعدها.

المغرب زمن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وولى يزيد بن مسلمة مولى الحجاج على العراق بعد وفاة الحجاج، وولي إفريقية، ويبدو أن الأمويين لم يمانعوا من تولية الموالي على الجهات التي يغلب عليها غير العرب كإفريقية وغيرها. فعلى الرغم مما يقال من عصبية الأمويين للعرب، لكنهم إن وجدوا الصالح من الموالي ولوه على بني جلدتهم، فهل كان ذلك كافيًا لعدم تبرم هؤلاء القوم، بل قام عبدالملك بتولية طارق مولى عثمان مدة على المدينة، وفي العصر العباسي زاد تعيين الموالي لمنصب الولاية، وتعداه إلى قيامهم بتولية الموالي على العرب، وهو ما لم يكن يفعله الأمويون، فاستحدثوا منصب الوزارة.

قيادة الجيش:

لقد كان تنظيم القتال يجري على أساس اشتراك القبائل بوصفها وحدات مقاتلة، فلم تكن القبائل العربية لتقبل أن يتزعمها في الحرب غير واحد من بني جلدتهم، وما لبثت أن ظهرت قيادات صغيرة تقود موالي مثلها في الحرب موالية للعرب، فحيان النبطي مولى مصقلة كان يقود مجموعة من الموالي في خراسان، وهم نحو سبعة آلاف رجل، وطارق بن زياد كان يقود الجيش في المغرب، وهو الذي فتح الأندلس.

أما في الدولة العباسية فقد فتح هذا الباب على مصراعيه للموالي، فغلب على أفراد الجند أهل خراسان، وكان لزعامة قائدهم أبومسلم الخرساني أثر كبير أفردنا الحديث عنه هو وسنباد وغيره من قادة الجيوش غدروا، وثاروا بمن معهم من جند فارس على الدولة العباسية كما هو مفصل في موضعه.

مناصب الدواوين:

ديوان الخراج: كان هذا الديوان في البداية بيد أهل الذمة، ثم انتقل إلى يد الموالي من المسلمين، فقد بقي هذا الديوان على عهده القديم بالنسبة إلى

استعمال اللغة غير العربية فيه؛ لذا كان متوليه من غير العرب إلى أن عُرب هذا الديوان زمن عبدالملك، فكان ديوان الخراج في العراق بيد زاوانا وابنه مرو نشاه، وبعد التعريب أصبح صالح عبدالرحمن مولى تميم على هذا الديوان. وتولى ميمون بن مهران خراج الجزيرة في عهد عمر بن عبدالعزيز. وكان أسامة بن زيد مولى كلب على هذا الديوان زمن يزيد بن عبدالملك.

أما ديوان الجند والرسائل والخاتم ومنصب الحجابة فكلها كانت بيد الموالي؛ لأنها غالبًا تحتاج إلى الكتاب، وكل ذلك يدل على ثقة الخلفاء والولاة بالموالي للقيام بهذه المناصب الخطيرة في الدولة حيث تعد هذا اليوم كالوزارات، وأشهر الكتاب لدى العباسيين محمد يوسف بن صبيح لقب بكاتب الدولة، والحسن بن وهبة، وعمر بن مسعدة، ومنصور بن زياد، ويوسف بن سليمان، وأبو صالح يحيى بن عبدالرحمن، ويحيى بن سلمان، ومحمد بن أعين، وعبدالله ابن أعين، وعبدالله بن عبده، وكلهم من موالي الفرس[١].

ومن الكُتاب المتهمين صراحة بالزندقة ابن المقفع ومثله سهل بن هارون الذي قدمه الفضل بن سهل إلى المأمون. ومن كُتاب الزنادقة يونس بن فروة، والكاتب بزو بادان كاتب الرشيد على الخراج، وكان ثانويًّا ومن الكُتاب المتهمين بالديانة الثانوية والمانوية عند المأمون بن أبي العباس الطوسي وإبراهيم بن إسماعيل[٢].

منصب القضاء:

لأن القضاء يحتاج إلى معرفة بقواعد اللغة العربية والاستدلال الشرعي لمعرفة الأحكام عن طريق الاجتهاد والفتوى اعتمادًا على مصادر التشريع والمعرفة من القرآن والسنة،... فقد تأخر اعتلاء الموالي منصب القضاء، وقد

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٢٠٧.

(٢) الجاحظ: رسالة في ذم أخلاق الكتاب، ص٤٧.

اعتذر بعضهم عن عدم توليه ربما لهذا السبب أو لأسباب أخرى منه عدم خضوع العربي للقاضي من الموالي ربما، فقد اعتذر مكحول لعمر بن عبدالعزيز، واعتذر أبوحنيفة للمنصور، ولكن في الدولة العباسية ولي القضاءَ كثيرٌ من الموالي.

انضمام الموالي للأحزاب والحركات غير الشيعية:

انقسمت أهواء الموالي، فانضم الكثير منهم إلى أي حركة وحزب فيه خروج ومخالفة للسلطة الأموية وهذا يمثل أنهم لم يكونوا في تصرفاتهم هذه ينضمون عن عقيدة في أغلب الأحيان بقدر ما هي فرصة يبتهلونها للخروج على الدولة ومحاولة إسقاطها على أمل تحقيق رغباتهم، فانضم بعضهم إلى الخوارج بدوافع أخرى غير ما سلف، وهو أن الخوارج يعتقدون بتسوية المسلمين بحقهم في الخلافة ووجوب السمع والطاعة، وإن تولى عبد حبشي.

ويدل وجود موالي مع الخوارج ما ورد عن المهلب بن أبي صفرة حينما قاتلهم بث جواسيسه بينهم، وجاءه الخبر: أن أكثرهم من القصار وحداد ودابغ جلد، وهي مهن لا يعمل بها إلا الموالي. وأورد المهلب في خطبته لجنوده قبل قتال الخوارج: «إنما هم مهنتكم وعبيدكم».

وفي سنة ٤٢هـ خرج رجل من الموالي في الكوفة يدعى أبوليل في ولاية المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتبعه ثلاثون ألفًا من الموالي، ولكن جند المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خذلوه[١] وفي سنة ٧٧هـ ثار بعض الموالي الخوارج على قائدهم قطري بن الفجاءة، وولوا عبد ربه الصغير، فكان معه ثمانية آلاف من الموالي، فنشب القتال بين الخوارج العرب والخوارج الموالي في موقعة جيرفت[٢] وكان النصر للموالي، وتولى المهلب القضاء على الجميع بعدئذ.

---

(١) ابن الاثير: الكامل، ج٣، ص٤١٢.

(٢) المبرد: الكامل. ج٣، ص٢٢٨.

وانضم كثير من الموالي إلى ثورة ابن الأشعث سنة ٨٢هـ حيث اشترك معهم في التحريض على الخروج بعض الأئمة: كالشعبي وسعيد بن جعفر، وقد أمر الحجاج فيما بعد بالنقش على أيدي الموالي وردهم إلى قراهم[١].

وانضم بعض الموالي إلى ثورة ابن المهلب سنة ١٠٢هـ، وقاتلوا في موقعة العقر، ولكن مسلمة بن عبدالملك هزمهم، ولكثرة مناسبات خروج الموالي على العباسيين سنفرد القول في ذلك لاحقًا.

ونسأل: لماذا لم ينضم المختار أو إبراهيم بن الأشتر النخعي لحركة التوابين مع أنهم من القيادات الشيعية في الكوفة؟ ولماذا لم تتوحد المعارضة على القضاء على خصومهما؟ والجواب فيما يبدو أن اتجاهات المعارضة الشيعية منقسمة على نفسها فكلٌّ له رأي.

وقد ذكر أن المختار حينما دعا إبراهيم بن الأشتر والانضمام إليه طلب إبراهيم أن تكون الأمور والقيادة بيده، وهذا يبرر صراحة لماذا لم ينضم ابن الأشتر إلى التوابين، ويضاف إلى ذلك أن أهل الكوفة ونساءها كما ذكر كانوا يُخذلون كل من له همة في الخروج على السلطة؛ اتقاء اليتم والتشريد، ومن جهة أخرى فإن أكثر من كان مع ابن زياد كانوا من أشرافهم، أما المختار فكان بوضوح يريد الزعامة لنفسه، ولم يبالِ بالادعاءات التي افتراها على ابن الحنفية أو على علي بن الحسين ما يعكس أن شخصيته كانت مختلفة عن تقوى ونزاهة التوابين واختلاف الجهة الشيعية، هذا هو الذي مكن مصعب بن الزبير فيما بعد من القضاء على حركة المختار وقتله، لقد ورد في بعض الروايات: إن ابن زياد قد حاول إمالة ابن الأشتر في وقت قدوم الحسين إلى الكوفة، واتهمه بمنع الحسين من المسير إلى يزيد، وإن ابن الأشتر رفض أيضًا أن يكون مخلصًا لابن زياد[٢].

---

(١) الطبري. تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٨١.

(٢) إبراهيم بيضون: (اتجاهات المعارضة في الكوفة) ص١٤.

ولكن في الواقع إن ابن الأشتر كان يمثل اتجاهًا معارضًا وحده منذ البداية وربما خالف الاتجاهات الشيعية؛ لأن الملامح التي تنسب إليه ملامح الولاء إلى القبيلة والانتصار لها، وأنه أصبح قائد ورئيس قبيلة النخع التابعةلقبيلة مسحج اليمنية. ولذا فإن ابن الأشتر لم ينضم لحركة المختار إلا بعد أن سلم له المختار شرطة القاضي بقيادة ثورة المختار، ولكن انحراف الثورة جعل ابن الأشتر على خلاف مع تلك الاتجاهات والدعاوى الجديدة التي ظهرت على ألسنة القوم التي ترفضها عادة العقلية القبلية في تلك المراحل المتقدمة خاصة بعد تولي الأشتر الموصل وعسكر بجيشه في الجزيرة بعيدًا عن الكوفة. والواقع أن القيادات الشيعية في الكوفة لم تكن وحدها منقسمة الاتجاهات ما سبب ضعفها والقضاء عليها، بل إن القيادات الشيعية في الحجاز هي الأخرى منقسمة وخجولة في معارضتها للحكم الأموي، فلم يكن ابن الحنفية على اتساق مع علي بن الحسين، وذكر أن المختار عمد إلى اجتذاب الموالي وإلى الإعلان عن تحرر كل مولى ينضم إليه من موالي العتاقة، فتزايدت أعدادهم خاصة أنه أشركهم في الفيء والعطاء وسماحه لهم بركوب الخيل واتخاذه الحرس منهم، وربما كان لهذه الإجراءات ردة فعل من أشراف الكوفة ضد المختار، حيث تجمعوا في جبانة السبيع لقتال المختار ومن معه.

غير أن أكثرية قوة المختار كانت من قبائل الكوفة العربية اليمانية في مقدمتهم مزينة، وأحمس، وبارق، وهمدان (نهد شاكر بارق وثور وشبام) ومن كندة (بنو بداء ونهند) ومن مسحج والنخع ....

وقد ذكر أن عبدالله بن قراد الخثعمي كان على الشرطة وعبدالرحمن بن شريح الشبامي على بيت المال. وقيل: إن المختار عرض القضاء على عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، فرفض، فولى القضاء لشريح قاضي الكوفة المشهور على الرغم من أن أكثر الشيعة لا تودّه؛ لأنه قد ذكر أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد

عزله عن قضاء الكوفة، ونفاه إلى بانقيا ليقضي بين يهودها كما ذكر أن المختار فيما بعد عزل شريحًا ونفاه إلى بانقيا، كما فعل الإمام علي رضي الله عنه وعين مكانه ابن مالك الطائي. ولكن أكثر أشراف العرب في الكوفة بعد ذلك نقموا من المختار خاصة من اشترك في ذم الحسين أو من كان يميل إلى ابن الزبير أو الذين أنكروا على المختار تقريبه الموالي والفرس والعبيد وقد ذكر أن الناقمين على المختار شبث بن ربعي الرياحي سيد تميم وعبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ومحمد بن الأشعث وعبدالرحمن بن مخنف الأزدي وزحر بن قيس. وقد تجمعوا في جبانة السبيع خاصة اليمانية، وكان جيش المختار بقيادة إبراهيم بن الأشتر قد خرج به لملاقاة جيش عبيدالله بن زياد، فرجع ابن الأشتر إلى الكوفة بطلب من المختار لضرب حركة هؤلاء، فتقدم ابن الأشتر لضرب مضر وربيعة، وتقدم المختار ومن معه لضرب اليمانية المجتمعين في جبانة السبيع خاصة وجبانة مراد، وقد سيطر المختار على الموقف، فقتل الكثير ممن تحصن خاصة أولئك المتهمين بالاشتراك في قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأكثرهم كانوا من همدان كما تذكر هند أبو الشعر في كتاب لها عن ثورة المختار[1].

وقد هرب من الكوفة أعداد كبيرة من المقاتلين انضموا إلى مصعب بن الزبير، وربما كان منهم من اشترك في دم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الموالي الفرس ومنصب الوزارة:

استحدث العباسيون منصب الوزارة، وهو منصب خطير يلي الخليفة مباشرة، فقد استوزر المنصور أبا أيوب المورياني من موالي الأهواز نسبة إلى قرية موريان، وتولى الوزارة للخليفة المهدي عبيدالله بن يسار مولى الأشعريين، وكان هو كاتبه أيضًا، وعهد لابنه بدواوين الدولة، ثم بالوزارة أيضًا، واستوزر

(١) هند أبو الشعر: ثورة المختار (جبانة السبيع وتتبع قتلة الحسن) ذكرت أنه قتل مئتين وخمسين من همدان.

المهدي أيضًا يعقوب بن داود مولى عبدالله بن حازم حتى استأثر دون الخليفة لدرجة ان أودعه السجن، وقد أطلقه الرشيد فيما بعد.

وجميع هؤلاء كانوا يقربون أولادهم وأهليهم من المناصب العامة حتى سيطروا على مهام الدولة وعطائها، واستوزر الرشيد البرامكة الذين بلغوا من العظمة والسمعة ما لم يبلغه أي وزير إلى أن نكبوا كما سنرى، واستوزر المأمون الفضل بن سهل وأخاه الحسن بن سهل، فكان لهم أثر في ولاية العهد التي تمت لعلي الرضا، واستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد الأحول مولى لبني عامر بن لؤي، واستوزر أحمد بن يوسف القاسم وهويزيد بن سويد مولى من أهل خرسان، وكان مجوسيًّا، ثم أسلم، ووزير المعتصم الفضل بن مروان الفارسي الأصل وأحمد بن عمار بن شادي من موالي المزار، واستوزر محمد بن عبدالملك الزيات[١].

نكبة البرامكة:

كان آل برمك من بيوت بلخ الدينية المجوسية، وكانوا سدنة (النوب هار) الذي توقد فيه النار للعبادة، وكان خالد البرمكي من رجال محمد بن علي، ثم إبراهيم الإمام زعيمي الدعوة العباسية، فاستوزر السفاح خالد، ثم ولي خالد الري وطبرستان للمنصور، وقد أراد المنصور أن يهدم إيوان كسري في المدائن إلا أن خالد نصحه بألا يفعل ذلك، وتولى خالد للمهدي مقاطعة فارس كلها.

ثم عهد المهدي ليحيى بن خالد بتربية ابنه هارون، وكان يصحب هارون في غزواته، وكان أباه من الرضاعة، وكان يحيى قد ولي أذربيجان للمنصور سابقًا، وله أربعة أولاد أشهرهم الفضل وجعفر أخو هارون من الرضاعة، ويقال: إن موسى الهادي تنكر لهارون، وعمل من أجل تقليد ابنه جعفر الخلافة إلا أن

(١) د. فاروق عمر: المصدر السابق، ص٦٥ وما بعدها، مطبعة التعليم العالي- بغداد، ١٩٨٩م.

يحيى بما له من نفوذ على موسى منعه من ذلك، وأراد الخليفة الهادي قتل يحيى إلا أنه توفي بسرعة، فبشر يحيى هارون بالخلافة سنة ١٧٠هـ فكان هارون يلقب يحيى بأبي، ويقول له: أنت أجلستني على الخلافة. فكان خاتم هارون بيد يحيى، وقلده أوسع السلطان، وعهد إليه بجمع الدواوين. فتولى جعفر بن يحيى شمال إفريقية، وتولى الفضل بلاد فارس كلها، وكان جعفر والفضل من أقرب المقربين إلى الأمين والمأمون ابني هارون ولصلة الرضاعة بين هارون والفضل جعلت هؤلاء يدخلون على بعضهم بعضًا حتى في فرشهم.

وقد عمل هارون الرشيد على وضع الأمين بصحبة الفضل دائمًا والمأمون بصحبة جعفر، وكان مركز الفضل في خراسان منذ سنة ١٧٨هـ، ويقال: إنه حاول هدم بيت النار (النوب هار) فلم يقدم على ذلك، انفرد بمنزلة كبيرة عند هارون الرشيد، واعتمده عليه، وأنزله بقصر قرب قصره، فكان جعفر البرمكي هو الغالب على أمر الرشيد، فكان الرشيد يدعوه أخي، وعهد إليه بأكثر الدواوين خاصة البريد ودور ضرب النقود والطرز، وقد قيل: إن جعفر يمضي الأمور دون مراجعة الرشيد، فقد قدم عبدالله بن صالح الهاشمي على بغداد يريد من الرشيد قضاء ثلاث حوائج: دين كبير، وأن يولي ابنه بعد أن يزوجه الرشيد، فقام جعفر بدفع الدين، وولى الابن على مصر، وزوجه من ابنة الرشيد، فلما علم الرشيد بذلك أجازه، وأمضاه.

ويرى ابن خلدون أن سبب نكبة البرامكة ترجع إلى ميولهم للفرس والشيعة معًا ومحاولتهم إرجاع الحكم لبني جلدتهم[١] ويروى أن الرشيد طلب إلى جعفر بقتل يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الذي خرج على الرشيد، ولكن جعفر أطلق سراحه، ولما سأله الرشيد قال: إنه لم يجد منه خطأ[٢].

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٢٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج١، ص٨١.

بل إن جعفر أرسل إلى يحيى هذا بمئتي ألف دينار. ويقال: إن جعفر كان يفرق الأموال بين الموالي، ويمنعها عن آل هارون الرشيد، ويروى أن الرشيد دفع موسى بن جعفر (إمام الإثنا عشرية) إلى الفضل ليقتله، فلم يفعل، فطلب الرشيد جلد الفضل على عصيانه[١] ويقال: إن الرشيد أحس بأن موسى بن يحيى البرمكي يكاتب أهل خراسان للوثوب معهم ضد الخليفة، فأمر بحبسه، ولكن أطلقه بطلب من يحيى أبيه. ويروى أن البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يحرق فيها العود، فتنبه لذلك لما فيه من إشارة إلى عبادة النار. ويقال: إن الرشيد لما بعث إليه يحيى بن برمك من السجن يستعطف، رد الرشيد: (المخادع الزنديق) فالرشيد أعلم بدخائلهم، وذكر أن آل برمك كانوا يتحدثون الفارسية، ويتحدثون بأمثالها. ويذكر البعض أن سبب نكبتهم يعود إلى رغبتهم في إبطال الخلافة. وعلى كلٍّ، صودرت أملاكهم، وصلب جعفر البرمكي في صفر سنة ١٨٧هـ في بغداد، وحبس يحيى ابنه الفضل في حبس الزنادقة ببغداد، ولكن في عهد المأمون حل محلهم آل سهل، فورثوا آل برمك، وحلوا محلهم.

ولقد أورث هذا النفوذ السياسي للبرامكة دون الخليفة نفوذًا بين جمهور الناس من شعراء وكتاب ورؤساء الناس، وذلك بإغراقهم بالأموال والأعطيات من مال الدولة، فجعلوا الناس يتجهون إلى البرامكة بدل الخليفة في قضاء حوائجهم ومطالبهم، فسادوا بكرمهم وإحسانهم الجميع، ولقب كل كريم بالبرمكي، ومع هذا فقد تكون حسدة وأعداء عملوا على إسقاطهم لأسباب بعضها شخصية محضة، وبعضها ربما كان خشية تفرد العنصر الفارسي بالسيادة والقوة، فقد اتهمهم الأصمعي بالزندقة لبعض ما رشح من أفكارهم وأهوائهم، فكثر بذلك أتباعهم، وازدادت قوتهم ما جعل الرشيد يتخوف من سوء العاقبة حيث شاهد الرشيد بنفسه كثرة الناس على أبوابهم والجميع يلهج بمدحهم وشكرهم. فبدأ

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج١، ص٨٣.

الرشيد يتغير عليهم، ومن أوائل ذلك تبرمه من دخول يحيى البرمكي عليه دون استئذان، وتذكر بعض المصادر قصة زواج العباسة الشكلي أخت الرشيد من جعفر البرمكي سرًّا بعلم من الرشيد: لغرض اجتماع الجميع في مجلس واحد وافتضاح الأمر. وربما ذلك القشة التي قسمت البرامكة إن صحت هذه القصة[١] وصار للبرامكة أموال وضياع كثيرة، وقد كان الرشيد يمشي، ويسأل عن الضياع، فيقال له: لبرمك.

رد فعل شيعة فارس ضد العرب:

على الرغم من أن نشأة التشيع كما ذكرنا كانت عربية في أصلها، لكن الفرس وجدوا فيه بغيتهم السياسية، وبقي في نفوسهم هوى واستجابة؛ لأنهم قد وجدوا أنفسهم في مرتبة اجتماعية أدنى من العرب الذين بيدهم الحكم والقوة والثروة، وقد امتلأت كتب الشيعة بإشارات كثيرة ضد العرب خاصة تلك المؤلفة من قبل شيعة فارس القدماء، ولا شك أن الشيعة العرب يجدون أنفسهم في حرج كبير من هذه الأقوال المنسوبة إلى الأئمة ضد العرب.

وقد أورد المجلسي في (بحار الأنوار) نقولًا من كتب شيعية قديمة توضح انعكاس الحالة النفسية للفرد الشيعي في المجتمع الإسلامي، فقد أورد جملة من الأحاديث عن الأئمة في شدة ابتلاء المؤمن وعلته بالمرض والخوف من السلطان والفقر وجيران السوء والشياطين الذين هم كالزنابير على المؤمنين من كثرتهم كما يقول. فمن هذه الروايات ما نقله المجلسي من كتاب (الاختصاص) عن محمد بن علي عن الإمام موسى بن جعفر قال: إن الأنبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال: (السقم من الأبدان، والخوف من السلطان، والفقر).

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج١٠، ص٨٤. المسعودي: مروج الذهب. ج٣، ص٢٩١.

وينقل المجلسي كذلك عن الكُليني من كتابه (الروضة) رواية يبدو فيها محمد بن سنان مشتكيًا للإمام الصادق من تسمية المسلمين السنة للشيعة بالرافضة حيث يقول له: «.... فإنا قد نبزنا نبزًا انكسرت له ظهورنا، وماتت له أفئدتنا... فردّ عليه الإمام: لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به. أما علمت يا أبا محمد، أن سبعين رجلًا من بني إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلاله، فلحقوا بموسى... فسموا عسكر موسى بالرافضة»[١].

وتتسع ردود الفعل ضد العرب إلى انتحال صفات العرب المسلمين للشيعة الفرس وإلى تأويل الصفات الذميمة التي كان يطلقها العرب على الفرس إلى صفات حسنة كما في الحديث المروي عن الإمام الصادق الذي نقله المجلسي عن كتاب (الاختصاص) قال الإمام: المؤمن هاشمي؛ لأنه هشم الضلال والمؤمن قرشي؛ لأنه أقر بالشيء ونحن الشيء. والمؤمن نبطي؛ لأنه استنبط الأشياء... والمؤمن عربي؛ لأنه عرُب عنا أهل البيت والمؤمن أعجمي؛ لأنه أعجم من الدلام، فلم يذكر بخبر والمؤمن فارسي؛ لأنه تفرس في الأسماء لو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله أبناء فارس.

وأوضح المجلسي أن كلمة الدلام بيان للأشياء، وصرح أنها كلمة يكنى بها في الأخبار عندهم عن عمر تقيةً، وتطلق على أبي بكر أيضًا، وعلل المجلسي المعنى لسواد ظاهر أو باطن العمرين (بالكفر والنفاق أو لانتشار الظلم والفتن بهما في الآفاق) والكلام للمجلسي[٢].

وترد الشكوى ضمن مشاعر الشيعة الفرس في رواية عن أبي يحيى الواسطي (عمن ذكره) قال: قال رجل لأبي عبدالله: إن الناس يقولون: من لم يكن عربيًّا أصله و(أو) مولى صريحًا، فهو سلفي. فقال: وأي شيء المولى

(١) المجلسي: البحار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص١١٥.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥ ص١٧-١٨.

الصريح؟ فقال له الرجل: من ملك أبواه. قال: ولمَ قالوا هذا؟ قال: يقول الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: مولى القوم من أنفسهم، فقال: سبحان الله! أما بلغك أن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أنا مولى لمن لا مولى له**». أيهما أشرف من كان من نفس الرسول أو من نفس أعرابي جلف بوال على عقبيه؟ من دخل في الإسلام رغبة وهم الموالي خير ممن دخلوا رهبة من المنافقين[١].

وفي حديث منسوب للإمام أبي جعفر قال: ثلاث من عمل الجاهلية: الفخر بالأنساب، والطعن بالأحساب، والاستسقاء بالأنواء[٢]. ونقل المجلسي من أحد كتبهم القديمة رواية منسوبة لعليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «إن الله يعذب ستًّا بست، العرب بالمعصية والدهاقنة بالكبر و...»[٣] وأورد الكليني رواية عن أبي بصير عن الإمام الصادق أنه قال: «إن تتولوا يا معشر العرب، يستبدل قومًا غيركم؛ يعني الموالي. قد والله أبدل بهم خيرًا منهم الموالي»[٤].

ثم حمل المجلسي على عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه، ونسب إليه القول: إن سائر الناس من أهل فارس من سقاطة الناس وأراذلهم، وإنهم ليسوا أكفاء للعرب، وعلل المجلسي ذلك بأن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان قد سمع من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن أنصار عليٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأهل بيته يكونون من العجم[٥].

ويذكر المجلسي فضيلة للعجم على العرب على شكل رواية منسوبة للإمام الصادق نقلها من كتاب (فسيتا = تفسير علي بن إبراهيم) قال الإمام: لو نزل القرآن على العجم ما آمنت به العرب، وقد نزل علي، فآمنت به العجم،

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٥.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص١٤١.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٦. ص٢١٠.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٥.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٦.

فهذه فضيلة العجم[١] وينقل المجلسي رواية من كتاب (الاستدراك) عن المنصور بن حازم قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «نحن العرب وشيعتنا الموالي وسائر الناس همج»[٢].

ورغبة الشيعة الفرس في الانتقاص من العرب وأثرهم واضح بشكل يدعو للاستغراب كيف أن شيخ الشيعة في القرن الرابع ببغداد الشيخ المفيد، وهو عربي حارثي يورد في أحد كتبه رواية تنسب لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القول: «من أحبنا فهو العربي، ومن أبغضنا فهو العلج»[٣] اللهم، إلا أن تفسر بأن في ذلك تقربًا لسلطان بني بويه الذي حكم العراق وفارس في وقته، وكان المفيد لصيقًا بهم.

عن أبي عبدالله أنه قال: اتقِ العرب، فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم (المهدي) منهم واحد[٤].

ونقل المجلسي عن كتاب (مع) عن عبابة الأموي قال: سمعت أمير المؤمنين عليًّا، وهو متكئ وأنا قائم عليه: لأبنين بمصر منبرًا، ولأنقضن دمشق حجرًا حجرًا، ولأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب ولأسوقن العرب بعصاي هذه[٥]. وعلق المجلسي على ذلك أن قول الإمام هذا محمول على ذلك في الرجعة حيث يؤمن الشيعة برجعة بعض المسلمين للدنيا خاصة الشيعة ليقتصوا ممن ظلمهم. وأورد المجلسي رواية عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قد ذكر أن عنده صحيفة يقال لها العبيطة «وما ورد على العرب أشد عليهم منها، وأن فيها لستين قبيلة من العرب بهرجة ما لها في دين الله من نصيب»[٦].

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٧.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص٤٨.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٥. القسم الأول. ص١٠٨.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٣ ص١٨٦.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار. المجلد ١٣. ص٢١٤-٢١٥.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار. المصدر السابق.

دور الموالي الفرس في العصر البويهي:

استخدم العباسيون الموالي الفرس لمناصب كثيرة منها الولاية وقيادة الجيش ورؤساء الدواوين والكتاب، فارتفع بذلك نجمهم، وقويت شوكتهم حيث تركزت منذ قيام الدولة العباسية على يد أبي مسلم الخراساني ثم على يد أبي سلمة الخلال والبرامكة وآل سهل إلى درجة أن اقتنع الخليفة المأمون من قبل وزيره الفارسي بولاية العهد للإمام علي الرضا حيث خطط الفرس الاستتار خلف هذا الإمام على الرغم من معارضته وعدم رغبته في هذه الولاية، وفي زمن المعتصم فكر الخليفة في أن يستبدل بالنفوذ الفارسي الذي يكاد يخنق الدولة نفوذًا تركيًا عن طريق استخدام جيش تركي وإنقاص أفراد الجيش من الموالي الفرس، وذلك لإحداث توازن سياسي، بسبب أن العنصر العربي خاصة في الجيش كان ضعيفًا. ولذا عمد المعتصم إلى بناء مدينة سامراء (٢٢١هـ) بوصفها قاعدة عسكرية للجنود الترك، وذلك لإبعاد مشكلاتهم وشغبهم عن بغداد، ولكن لم تنجوا الدولة العباسية من مشكلات الأتراك التي كان يثيرها الجند وقادتهم على الخليفة إلى حد تآمرهم واشتراكهم في قتل الخليفة المتوكل، وبعد ذلك أصبح الخلفاء العباسيون مجرد ألعوبة في أيدي هذه القوة يعزلون، وينصبون من شاؤوا من الخلفاء.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري عاد الموالي الفرس إلى القوة على يد البويهيين، فأزاحوا العنصر التركي، وقد بدأت الدولة العباسية تتقطع أوصالها البعيدة خاصة، ونشأت عنها قوة مستقلة عن مركز الخلافة ببغداد، ففي عهد الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ) كانت فارس تحكم من قبل علي بن بويه، وأما أصفهان والري والجبال فكانت تحكم من قبل أخيه حسن بن بويه، وأما الموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر فكانت تحكم من قبل الحمدانيين (٣١٧-٣٩٤هـ) وأما مصر فكانت تحكم من قبل محمد بن طغج، ثم بعده القائم

بالله الفاطمي. وخراسان وشرق فارس كانت تحكم من قبل السامانيين، وأما جرجان وطبرستان وبلاد الديلم فتحكم من قبل الديلم، وأما البحرين واليمامة فتحكم من قبل القرامطة[١].

إن البويهيين كانوا من الديلم قد دخلوا الإسلام متأخرًا في منتصف القرن الثالث الهجري، فكانوا قبل ذلك على ديانة المجوسية. وفي سنة ٢٥٠هـ أسس الحسن بن زيد العلوي (الأطروش) نفسه في طبرستان، وخلفه أخواه محمد وحسن بن علي الأطروش توفي (٣٠٤هـ) اللذان استوليا على طبرستان سنة ٣٠١هـ، ونجحت هذه العائلة الزيدية العلوية في إقامة دولة في طبرستان، ونشرت التشيع الزيدي في بلاد الديلم، فنجح الأطروش في إدخال الديالمة هؤلاء من المجوسية إلى الإسلام الشيعي الزيدي.

فظهر من هؤلاء الديلم قائد عسكري يدعى ابن بويه، وكان له ثلاثة أبناء أشداء استطاعوا فيما بعد إقامة نفوذهم، ولكن دولة الأطروش انتهت بتغلب الحكم الساماني على بلاد الديلم سنة ٣٤٥هـ.

أما البويهيون فأصبح لهم شأن عظيم بحكم فارس والعراق حيث قام أحمد ابن بويه (معز الدولة) سنة ٣٣٤هـ باحتلال بغداد (عاش ما بين ٣٠٦-٣٥٦هـ) فكان أول حاكم فعلي يعتنق التشيع، ويدعو إليه في العراق كله، وأبقى على خلافة العباسية وجردها من كل قوة، وأقام في بغداد أول نقابة للطالبيين، وهذه حيلة في التصرف الديني المذهبي، فانتعش بذلك مركز الطالبيين والشيعة معًا، وقد كانت نقابة الطالبيين ببغداد بين العباسيين والطالبيين معًا، لكن من هذا العهد أصبح لـ آل علي نقابة وحدهم دون آل هاشم. وكان النقباء أكثرهم متشيعين (كالشريف الرضي وأخيه المرتضى) أما النقيب الثاني فقد عينه معز الدولة سنة ٣٤٨هـ وكان أبو عبدالله محمد بن الحسن المعروف بابن الداعي

(١) المسعودي: مروج الذهب. ج٩، ص٢. ابن خلكان: الوفيات. ج١، ص٧٨.

(متوفى٣٦٠هـ) حيث كان زيديًّا، وهذا ينبئ بأن البويهيين أول دخولهم بغداد كانوا شيعة زيدية، ولكن اعتنقوا مذهب الشيعة الإثنا عشرية؛ لأن زيدية بغداد طالبوهم بالزعامة.

وقد كان ابن الداعي ذا نفوذ كبير يتصرف دون الرجوع للخليفة ودون معز الدولة، ويبدو أن معز الدولة، أدرك أن الزيدية بناء على رأيهم في الإمامة يقيمون إمامًا حاضرًا من آل زيد يدعو لنفسه، فرأى معز الدولة أن مذهب الشيعة الإمامية أفضل له من الزيدية على اعتبار أن المذهب الشيعي الإمامي يؤمن في تلك الفترة بإمام غائب سيظهر مستقبلًا.

وهكذا نكل بالشيعة الزيدية ببغداد، وطردهم، وتشتتوا في الأمصار، وارتفع بذلك شأن المذهب الشيعي الإمامي على يد البويهيين[١].

وفي ربيع الثاني من سنة ٣٥١هـ بأمر من الأمير البويهي معز الدولة قام الشيعة في المساجد ببغداد بلعن «معاوية أبي سفيان ومن حرم فاطمة من فدك ومن منع الحسين من الدخول على جده، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى» وأعيد هذا اللعن العلني، فلم يكن الخليفة قادرًا على منعه، وقد كان ابن الداعي الزيدي الذي ذكرناه قد هرب سرًّا من بغداد سنة ٣٥٣هـ إلى بلاد الديلم، وذلك حينما كان معز الدولة في نصيبين. وبعد سنتين أسس نفسه بين الديلم، وكتب إلى بلاد الإسلام من ضمنها بغداد داعيًا إلى جهاد أولئك الذين يلعنون صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومما دفع البويهيين إلى كراهية الزيدية وإعطاء المزيد من التأييد للشيعة الإمامية ضد جميع مخالفيهم أن البويهيين لم يروا في عقائد المجوس أجدادهم كثير مخالفة للدين الإسلامي أو للجميع، وذلك بدليل أن الوزير محمد المهلبي

(١) ابن مكسويه: تجارب الأمم. ج٢، ص٢٠٧. - ابن الجوزي: المنتظم. ج٧، ص٧.

قد حكم بقتل مجموعة من الذين ادعوا أفكارًا مجوسية منهم رجل ادعى أن روح الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حلت به، ومنهم امرأة ادعت أن روح فاطمة ابنة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حلت بها، وآخر ادعى حلول الملك جبرائيل فيه، وقد تدخل بعض رجال الشيعة لدى معز الدولة، فأطلق سراحهم على دعوى أنهم من آل البيت. وقد أدخل البويهيون ومعز الدولة عادة لم تكن معروفة لدى الشيعة، وهي مواكب العزاء والقراءة بمناسبة يوم عاشوراء، حيث قتل الحسين بن علي، وما يتخلل ذلك من إثارة في هذه المواكب حيث أصبحت السبب الرئيس للصدام بين السنة والشيعة ببغداد، وهكذا بسبب تقدم الزمن والمصالح السياسية تضاف مشكلات جديدة تعمق الخلاف والشقة، ثم تكون مرتكزًا جديدًا تبنى عليه العقائد، وتحاك له الأحاديث المنسوبة للأئمة، ففي العاشر من محرم سنة ٣٥٣هـ ولأول مرة في تاريخ التشيع أمر معز الدولة أن تغلق المحال والأسواق ببغداد، وأعلن رسميًّا وجوب لبس النساء السواد في الأسواق والطرقات والحداد على مقتل الحسين بجرّ الشعور وشقّ الجيوب، ويرى بعض الباحثين أن العزاء على الموتى بهذا الشكل كان عادة فارسية منتشرة في بلاد الديلم، فلاقت مناسبة وهوى من القوم.

وأدخل البويهيون لأول مرة ببغداد الاحتفال الرسمي بعيد الغدير كل سنة في ١٨ من ذي الحجة، وذلك بفتح المحال طوال الليل وضرب الطبول والمزامير وإشعال النار أمام بوابات القصور والأماكن الرسمية[١] وقد دعا الأمير البويهي ركن الدولة عالم الشيعة ابن بابوية القمي الملقب بالصدوق للحضور إلى بغداد وإدارة الجدال الذي كان يعقد في قصر الأمير ونائبه من احتجاجات للشيعة والانتصار لهم بالشكل الذي قاده إليه اجتهاده، وما جمعه من أحاديث الشيعة في كتابه المشهور (من لا يحضره الفقيه) أما الشيخ المفيد (٤١٣هـ) فقد كان يركب

(١) ابن الجوزي: المنتظم. ج٥، ص١٥. ابن كثير: البداية، ج٩، ص٢٤٣، ص٣٠٥.

له معز الدولة، ويخصه بالأعطيات والهبات، وقد بلغت مؤلفاته مئتي كتاب ذات أهمية في انتشار فكر الشيعة.

وقد أمر عضد الدولة بإصلاحات إضافية لقبر الأمير علي وما حوله من قبور، وأن تحاط بالمحال والأسواق، وأوصى أن يدفن إذا مات جنب قبر الإمام علي.

وقد أظهر بعض الشيعة الغلاة نصًّا قرآنيًّا يختلف عما هو متداول بين المسلمين، وادعوا أنه قرآن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما أحدث خلافات ومشكلات بين المسلمين.

منذ زمن طويل ولأول مرة وجد علماء الشيعة أنفسهم في حرية تامة للتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم، فكتبوا بذلك المقولات، وجمعوا المتناثر من الكتب والمقالات القديمة، ودونوا في هذه الفترة أهم المراجع الشيعية في الحديث والتفسير... يشهد بذلك ما كتبه الكليني وابن بابوية القمي والطوسي والشيخ المفيد وتلميذه المرتضى علم الهدى. لقد حاول الخليفة الوقوف ضد العناصر الطارئة على الحكم وضد الخارجين من الشيعة على التعاليم المعتادة، حيث قام الخليفة المستكفي بالله (٣٣٤هـ) بسجن أحد قيادات الشيعة المدعو الشافعي من باب الطاق، فأمر معز الدولة بإطلاق سراحه، لكن الخليفة عارض ذلك، فقام معز الدولة بسمل عيني الخليفة وإقصائه ومبايعة المطيع بالله (٣٣٤-٣٦٣هـ) وتنصيبه خليفة، فلم تعد للخلافة هيبة ولا قوة، وأصبح مجرد رمز يدعى له بالمساجد، ويصك اسمه على النقود، واستمر نفوذ البويهيين والشيعة حتى مجيء السلجوقيين واحتلالهم بغداد سنة ٤٢٢هـ.

حيث أبعدوا النفوذ الشيعي، وأيدوا السنة المسلمين في دوامة جديدة من رد العنف السابق ما أذهب ريحهم، وأغرى بذلك أعداءهم وهم عنهم لاهون بالترهات والخلاف والجدل غير المفيد[1].

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٢٦٠، ص٣٠٠. ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص٨٥. المسعودي: مروج الذهب، ج٩، ص٣٤. ابن الجوزي: المنتظم. ج٧، ص٢٥٥، ج٨، ص٤١، ص١٠٩.